ملكة الذوق عند المفسر

وأثرها في إبراز جمال اللفظة القرآنية

إعداد

د/ إيمـــان شحته حسن محمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

ملكة الذوق عند المفسر وأثرها في إبراز جمال اللفظة القرآنية

إيمان شحته حسن محمد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات المنصورة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الألكتروني :emanshehta.2070@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى التركيز على ملكة الذوق ومدى حاجة المفسر إليها، مع ذكر بعض المميزات الجمالية للفظ القرآني ، وكيف استطاع المفسرون بحسهم المرهف ، وذوقهم العالي الوصول إلى آفاق أعلى ومعان أوفى وأسرار أسمي للمفردة والجملة والمعاني ، ما كانوا ليصلوا إليها لو لم تتوفر عندهم تلك الملكة العظيمة ، كما تناول البحث الحديث عن أثر الذوق في إبراز جمال اللفظة القرآنية من حيث جمال وقعها في السمع ، ومن حيث اتساقها الكامل مع المعنى ، ومن حيث اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات .

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها : أنه من الأهمية توفر ملكة الذوق عند المفسر ؛ حيث إن ترسخ هذه الملكة لديه تجعله يتذوق حلاوة النص القرآني ، ويفهم مراميه ، ويعي مقاصده ولن يستطيع أن يدرك أسرار إعجاز القرآن إلا إذا كان من أصحاب الذوق السليم .

كما يوصي البحث أن توجه الاهتمامات إلى الإكثار من مثل هذه الدراسات لتشمل أثر الذوق عند المفسر لإبراز جمال الجملة القرآنية وابراز جمال المعاني الكلية ، فإن مثل هذه الدراسات تثري المكتبة الإسلامية بقواعد أصيلة في التفسير ، وإلماحات بديعة في التجديد .

الكلمات المفتاحية : ملكة – الذوق– الجمال – اللفظة القرآنية .

Sensibility faculty the interpreter of the Qur'an has and its impacts on showing the aesthetics of the Qur'anic word

Eman Shehta Hasan Muhammad
Department of Interpretation and Qur'anic Studies, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al.Azhar University, Al.Mansoura, Egypt.
E-mail: emanshehta.2070@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims at concentrating on the faculty of sensibility and the extent to which the interpreter (of the Qur'an) needs. This in accordance with mentioning some of the aesthetic advantages the Qur'anic word has, and how interpreters managed- with their acute sense and higher sensibility- to reach higher horizons, fuller meanings and nobler secrets of the words, sentences and meanings that they could not reach unless they have this great faculty. Moreover, the research tackled the impact sensibility has on showing the aesthetics of the Qur'anic word concerning the beauty of its sound when hearing it, its full coherence with the meaning, and its large-province connotation, though other words' connotation is not usually too stretch to absorb meanings and signified matters.

Some of the most important conclusions I reached: it is crucial that the interpreter has the faculty of sensibility; as by deepening this faculty, s/he will taste the beauty of the Qur'anic verse, understand its goals and realize its intentions; as any interpreter cannot reach the secrets of its inimitability unless s/he has a sound sensibility.

Finally, the research recommends that cares should be given to such studies to include the impact sensibility of the interpreter of the Qur'an has on showing the beauty of the Qur'anic sentence and of the total meanings; as such studies enrich the islamic library with intrinsic rules for interpretation and wonderful outlooks for renewal.

Key words: Faculty- Sensibility- Aesthetics- The Qur'anic word.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده وتستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين، وأشرف النبيين، سيد ولد آدم ولا فخر سيدنا محمد عليه وعلي آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد

فقد اختص الله – ﷻ – القرآن الكريم بأنه معجزة بالغة تتحدى كل إنسان في كل زمان ومكان، أيا كانت ثقافته ودينه ولغته، فسلطانه عجيب على كل من له حسنَ ذوق، ولطافة ذهن، وقدرة على الاستنتاج والتبيين، حيث إنه لا يقتصر على مقياس فني معين في عصر دون آخر، ولا على اختلاف لغة أو ثقافة أو دين، بل إنه معجز بمقاييس محسوسة ولا محسوسة، مقننة بقواعد اللغة والبيان وخارجة أيضا عن محيط سيطرة تلك القواعد والقوانين؛ إعجازه فوق كل إعجاز حتى حار المفسرون والبيانيون في حصر وجوه إعجازه، ومناحي بيانه.

يقرؤه العالم المتخصص فيشعر بالضعف أمام روعة أسلوبه وبيانه ويسمعه الأمي فيزداد إيمانا وخشوعا ويتلوه الأعجمي فيخر لله ساجدًا دون أن يجد تفسيرًا لقوة سلطانه على قلبه؛ شهد بذلك الكافر قبل المؤمن والأعجمي قبل العربي؛ فهذا الوليد بن المغيرة[1]

---

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له: " العدل "؛ لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو " البيت " جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون ". انظر: الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م، ١٢٢/٨، باختصار.

حكيم العرب جاء يساوم النبي – ﷺ – مقلبا له الأمور على كل وجوه الاسترضاء التي يقبلها البشر، ولما فرغ من كلامه قال له النبي – ﷺ – أفرغت يا أبا الوليد قال: نعم، فقال له الرسول الذي بعث رحمة للعالمين فاسمع مني ثم تلا عليه سورة فصلت حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [١] فوضع الوليد يده على فم النبي – ﷺ – وناشده الله والرحم ألا يكمل، وعاد لقومه بوجه غير الذي ذهب به ولما سئل قال: سمعت منه كلامًا ليس من كلام الجن ولا من كلام الإنس، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يُعلى عليه " [٢].

هذا هو سحر القرآن الكريم وسيطرته على الألباب قبل العقول الذي جعل أعرابياً يسجد إجلالا لروعته وإذعانا لبيانه وإقرارا لإعجازه حين سمع : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] فسجد وقال: سجدتُ لفصاحته " [٤].

وذلك كله مرجعه إلى الذوق السليم الذي لا يكاد يفقد عند أي إنسان متى ما استدعاه بعقله ونماه بفكره، وهو مهم جدا لدى السامع لكنه لا يتعدى دوره فوق الشعور بالاستمتاع واللذة، أما عند المفسر فهو أشد أهمية وألح سببا؛ حيث يطلب منه

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، ٢/٥٥٠، ح(٣٨٧٢) وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ".

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٩٤ – ٩٦.

(٤) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ ، ١٠/٢٩٩.

استخراج الجمال وتعليله ولن يستطيع أن يدرك أسرار إعجاز القرآن إلا إذا كان من أصحاب الذوق السليم، وهذا ما أشار إليه الشيخ الطاهر بن عاشور[١] حيث يقول: " إذا كنت ممن ملك الذوق وتصفحت كلام رب العزة أطلعتك على ما يوردك موارد العزة وكشفت عن وجه إعجازه القناع " [٢].

فالذوق هو عملية إدراكية جمالية يتم فيها نفاذ العين إلى عمق النص للوصول إلى الأبعاد الوجدانية للموضوع ، الغائبة عن القاريء وذلك من خلال إمعان النظر ، والتأمل ،ومعايشة النص ، كما يرتبط بالإدراك البصري حيث يعمل على كشف ما في الأعمال الفنية من قيم ومعان سامية ، وفهم العناصر والرموز والسلوك المرئي باستجابة فعالة ، وبدونه لن يتمكن المفسر من كشف المراد عن مكنون معاني كلام الله ، فهو شراعه الأعلى وسلاحه الحاسم ، بدونه يكون كأعمى وقف أما لوحة فنية رائعة ذات معان ورموز وايحاءات لن يستطيع شرحها أو توضيحها ، ولله در الجرجاني إذ يقول عنه في "تعريفاته"عبارة عن نور عرفاني، يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب و غيره"[٣]

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني ولد ونشأ وتعلم بتونس، له أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلات بتونس ومصر، وتوفي بتونس ١٩٧٣م. انظر: معجم المفسرين « من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر » لعادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ٢/٥٤١ – ٥٤٢، باختصار.

(٢) التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد »، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ، ١/١٠١.

(٣) التعريفات ، للجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، لأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ١٠٧ .

وهو مدار حديثي في البحث، أسأله – ﷻ – الهداية والتوفيق، ومنه نستمد العون وعليه نتوكل.

أسباب اختياري لموضوع البحث:

١ – خدمة كتاب الله – ﷻ – بموضوع يتعلق بأشرف الكتب على الإطلاق.

٢ – عمق الموضوع من الناحية التفسيرية؛ لأنه يبحث عن أسرار الجمال القرآني وسبل استجلابها بمقاييس إبداعية لطيفة.

٣ – الكشف عن وجه عظيم من وجوه جماليات القرآن الكريم.

٤ – بيان أن القرآن الكريم يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إليه؛ وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله.

الدراسات السابقة:

تعد الدراسات في هذا الجانب كثيرة ومتنوعة، فبعض الباحثين قد تناول الذوق في القرآن الكريم من حيث اهتمام القرآن بالجمال ومدي عنايته به، وما فيه من قيم جمالية ومن ذلك رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية بعنوان " الذوق الجمالي في القرآن الكريم " للباحث: وحيد حرحوز، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، سنة ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

وهذا البحث وإن لم يتناول الذوق للألفاظ القرآنية لكنه قد تناول أهمية الذوق الجمالي ومدي اهتمام الإسلام به وعناية القرآن بالدعوة إليه.

على جانب آخر اهتم بعض الباحثين بجماليات المفردة القرآنية فاستقصي جمالها في كتب البلاغة القرآنية والتفسير البياني خاصة، في العصور القديمة والعصر الحديث، ولم يقتصر في مادته البحثية على كتب التفسير فحسب بل شمل أيضا كتب البلاغة

والإعجاز، فسعى إلى توضيح شأن المفردة في الصورة والنغم، وأوضح إسهامها في جميع فنون البلاغة القرآنية، كالتشبيه والكناية والاستعارة والإيجاز وغير هذا، ومن ذلك كتاب جماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف، الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

وقد استفاد البحث من كل جهود الباحثين السابقة في هذا الموضوع، متناولا الموضوع بشكل يختلف عن الآخرين حيث تم التركيز فيه على ملكة الذوق ومدي حاجة المفسر إليها، مع ذكر بعض المميزات الجمالية للفظ القرآني، وكيف استطاع المفسرون بحسهم المرهف، وذوقهم العالي الوصول إلى آفاق أعلى ومعان أوفي وأسرار أسمى للمفردة والجملة والمعاني، ما كانوا ليصلوا إليها لو لم تتوفر عندهم تلك الملكة العظيمة.

منهج البحث.

انتهجت في هذا البحث المنهج الاستقرائي ؛ حيث رصدت بعض الألفاظ القرآنية التي بدا فيها تفاوت المفسرين في الوصول إلى أعماق معانيها

لأخلص إلى السبب الأساس وراء هذا التفاوت وهو مدي استحكام ملكة الذوق لديهم ، ومدي تفاوتهم فيها .

وكانت خطوات تنفيذ هذا المنهج وفق المحاور التالية:

١ - عزو الآيات القرآنية التي ذكرت في البحث بذكر السورة ورقم الآية، فإذا ذكرت الآية كاملة قلت سورة كذا آية كذا، أما إذا ذكرت بعضها قلت سورة كذا من الآية كذا.

٢ - تخريج الأحاديث النبوية تخريجاً علمياً، وذلك بعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٣ - توثيق المعلومة المذكورة في البحث من مصادرها الأصلية وذلك بذكر اسم الكتاب والمؤلف والطبعة وسنة النشر في حال ذكر أول مرة، وبذكر الكتاب والمؤلف فقط في حال تكراره.

٤ - ترجمة الأعلام المذكورة في البحث من كتب التراجم.

٥ – إعداد فهرس للمراجع بذكر اسم المرجع كاملا، مرتبا حسب الترتيب الأبجدي.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وذلك على النحو الآتي :

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث. ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الملكة.

المطلب الثاني: الذوق.

المطلب الثالث: الجمال القرآني.

المطلب الرابع: اللفظة القرآنية.

المبحث الثاني: أهمية الذوق ومدى حاجة المفسر إليه. ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: أهمية الذوق.

المطلب الثاني: حاجة المفسر إليه.

المبحث الثالث: أثر الذوق في إبراز جمال اللفظة القرآنية. ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الذوق في إبراز جمال اللفظة القرآنية من حيث جمال وقعها في السمع.

المطلب الثاني: أثر الذوق في إبراز جمال اللفظة القرآنية من حيث اتساقها الكامل مع المعنى.

المطلب الثالث: أثر الذوق في إبراز جمال اللفظة القرآنية من حيث اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات.

الخاتمة: وتشتمل على:

١ – النتائج.

٢ – الفهارس.

وختاما : فإن هذا البحث قد ابتغيت به وجه الله – ﷻ – فما كان فيه من صواب فبفضل الله ونعمته، وما كان فيه من خطأ أو عجز أو تقصير فهو من عمل البشر والذي طالما يعتريه كل هذا، والله نسأل أن يغفر زلاتنا ويجبر نقصنا ويستر عيبنا ونسأله المن والهداية والفتوح والتوفيق.

المبحث الأول

التعريف بمفردات البحث

المطلب الأول : ملكة

لغة:

ملك: ملكته ملكا من باب ضرب، والملك بكسر الميم اسم منه والفاعل مالك والجمع ملاك .. وملك على الناس أمرهم إذا تولى السلطنة ... وملكت العجين ملكا من باب ضرب أيضا شددته وقويته، وهو يملك نفسه عند شهوتها أي يقدر على حبسها وهو أملك لنفسه أي أقدر على منعها من السقوط في شهواتها وما تمالك أن فعل أي لم يستطع حبس نفسه " [١].

اصطلاحا:

" ملكة(بفتح الميم واللام) مفرد جمعها ملكات وهي: صفة راسخة في النفس، أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بذكاء ومهارة، موهبة "[٢].

وفي المعجم الوسيط: " (الملكة): صفة راسخة فِي النَّفس أَو استعداد عَقْلِي خَاص لتناول أَعمال مُعينَة بحذق ومهارة مثل الملكة العددية والملكة اللُّغَوِيَّة " [٣]، وهذا المعنى الاصطلاحي هو مقصودي في البحث.

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت، ٥٩٧/٢، مادة (ملك)، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م، ١٤٩/١٠ وما بعدها، أبواب الكاف واللام.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ٢١٢٣/٣، مادة (ملك).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لـ (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة، ٨٨٦/٢. باب: الميم.

المطلب الثاني : الذوق

لغة:

للتذوق في اللغة العربية معاني كثيرة وأصله ذاق من (الذوق) والتذوق شيء آخر غير الحاسة التي في الجهاز الحسي في الفم ومركزها اللسان والتي يميز بها الإنسان خواص الطعم في الأشياء والأجسام، ومن معانيها (ذاق ما عند فلان) أي خَبِرَهُ، و(تذوقه) ذاقه شيئاً بعد شيء، وأمر (مستذاق) أي مجرب معلوم، والذوق والتذوق في الأدب والفن: هو اسم وصفة لحاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس، أو انقباضها من خلال النظر إلى أثر من آثار العاطفة، أو الفكر " [(١)].

مما سبق يتبين: أن كلمة الذوق يراد بها المعني المعجمي كحاسة لتذوق طعوم المواد المختلفة، ويراد بها أيضا المعنى الاصطلاحي وهو إدراك المواقف الحياتية المختلفة بما تحتويه من معان وأفكار وأحاسيس.

والملاحظ أنه في المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها في القرآن المجيد، وهي تربو على الستين موضعًا، لا نجدها قد استعملت في الطعام والشراب إلا في نطاق جد ضئيل، لا يعدو ثلاث آيات، هي: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ [النبأ: ٢٤]، ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧]، أما بقية المواضع فقد استعملت فيها خارج ذلك النطاق؛ مثل: ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٩]، ﴿ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٩٤]، ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد، مادة (ذوق)، ٨٢٩/١، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٣٩هـ - ١٩٧٩م، ٣٦٤/٢، وانظر: الصحاح لنصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ١٤٧٩/٤.

جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ [الذاريات: ١٤]، ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٨]، ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿ أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ [الروم: ٣٣]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فهي حاسة شعورية معنوية أو عاطفية تجاه الأشياء في شتى المجالات فنية أو أدبية أو غيرها، أما الذين حاولوا قصر معناه على ما يكون بالفم فقط فهذا تضييق منهم، قال الإمام ابن تيمية: " فلفظ " الذوق " يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعي اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه " [(١)].

وبهذه النظرة نستطيع أن نصل بالذوق إلى معان أشمل وأوسع نطاقا عندما نتصور الذوق على أنه ليس فقط الاستجابة الجمالية للنص أو العلاقات الجمالية الموجودة فيه، ولكنه يتعدى ذلك ليشمل الاستجابة الجمالية لكل نواحي الحياة وكل ما نمر به من تجارب ومواقف حتى يصبح الجمال سلوكا عاما وسمة غالبة تصبغ كل حياتنا بصبغتها وتضيئها بجمالها.

اصطلاحا:

إن لفظة الذّوق عند المفسرين لا تقتصر على ما يذاق باللسان بل تتعدى إلى معنى أجمع وأوسع وهو تذوق الجمال في اللفظ والجملة والمعاني وكما يقول الإمام أبو زهرة[(٢)]: " وإنَّ الكلام يذاق كما يذاق الطعام، فكلما كان التنسيق والتلاؤم حسن في

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١١٠/٧.

(٢) محمد بن أحمد أبو زهرة ، أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره ، ولد سنة ١٣١٦هـ ، له كثير =

الذوق " [١].

وقال صاحب بصائر ذوي التمييز: " الذَّوق: مباشرة الحاسّة الظَّاهرة أَو الباطنة، ولا يختصّ ذلك بحاسة الفم " [٢].

وقد تداول المعتنون بفنون البيان للذوق تعريفات عدة منها: أنه " قوة إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية " [٣].

وعرفه ابن خلدون[٤] في مقدمته بأنه " حصول ملكة البلاغة للسان، وتتحصل هذه الملكة من خلال ممارسة كلام العرب وتكرار سماعه والتفطن لخواص تركيبه " [٥].

من هنا يتبين أن التذوق خبرة تأملية جمالية، ونشاط إيجابي، واستجابة انفعالية مع

= من المؤلفات منها: تاريخ الجدل في الإسلام، والأحوال الشخصية وغيرها، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م. انظر: الأعلام للزركلي، ٢٥/٦ – ٢٦ باختصار.

(١) المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، صـ١١٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ٢٤/٣.

(٣) المعجم الفلسفي، د/ جميل صليب، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، ٥٩٧/١.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن خلدون الحضرمي، الاشبيلي السلف، التونسي، أبو زيد، ولي الدين، المؤرخ، الفيلسوف، وعالم الاجتماع ورجل السياسة، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي، ٣٣٠/٣ وما بعدها، وتراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٩٩٤م، ٢١١/٢ وما بعدها.

(٥) انظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، صـ ٧٧٥ باختصار.

النص، إنها ملكة تقوم على الاستعداد الفطري لتقدير النص ومعايشة روائعه والحكم عليه تصقلها الخبرة وطول القراءة، ومعاناة التجربة، وحين تترسخ هذه الملكة تجعل صاحبها متذوقًا للنص متفاعلا معه بكل جوارحه، مقبلا على إدراك جمالياته، والحكم على فنياته.

إن ترسخ هذه الملكة لدي المفسر لكتاب الله – ﷻ – تجعله يتذوق حلاوة النص القرآني، ويفهم مراميه، ويعي مقاصده، والتصوير الفني الذي هو أحد أهم مجالات الجمال القرآني " لا يجدي في تذوقه إلا الذوق، وطول الممارسة، والعناية بإبراز خصائصه الجمالية، بالنظر العميق، والشعور الرقيق " (١).

المطلب الثالث : الجمال القرآني

الجمال لغة:

الْجِيمُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَجَمُّعُ وَعِظَمُ الْخَلْقِ، وَالْآخَرُ حُسْنٌ

فَالْأَوَّلُ قَوْلُكَ: أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ، وَهَذِهِ جُمْلَةُ الشَّيْءِ. وَأَجْمَلْتُهُ حَصَّلْتُهُ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (٢)(٣).

وفي اللسان " الجَمَال: مَصْدَرُ الجَمِيل، وَالْفِعْلُ جَمُلَ. وَقَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (٤)؛ أَي بَهَاءٌ وَحُسْنٌ.

قال ابْنُ سِيدَهْ(٥): الجَمَال الْحُسْنُ يَكُونُ فِي الْفِعْلِ والخَلْق. وَقَدْ جَمُلَ الرجُل،

---

(١) المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني، فتحي عامر، منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٧٦م، ص ١٩.

(٢) سورة الفرقان من الآية ٣٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٤٨١/١، مادة (جمل).

(٤) سورة النحل الآية ٦.

(٥) على بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها . ولد بمرسية (في شرق =

بِالضَّمِّ، جَمَالًا، فَهُوَ جَمِيل وجُمَال " [١].

وقال ابن الأثير[٢]: " والجمال يقع على الصور والمعاني، ومنه الحديث: " إن الله تعالى جميل يحب الجمال " [٣] أي: حسن الأفعال كامل الأوصاف"[٤].

وقد فرق صاحب الفروق اللغوية بين الجمال والحسن فيقول: " الحسن في الأصل للصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق

= الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، من أهم مصنفاته المخصص، المحكم والمحيط الأعظم وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي، ٢٦٣/٤ – ٢٦٤، باختصار.

(١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م ، ٤٥٠/٧، وانظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤هـ، ١٢٦/١١، فصل: الجيم.

(٢) القاضي، الرئيس، العلامة، البارع، الأوحد، البليغ، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ثم الموصلي، الكاتب، ابن الأثير، صاحب (جامع الأصول)، و (غريب الحديث)، وغير ذلك، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م، ٤٨٨/٢١ وما بعدها.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – ﷺ – " لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، باب: تحريم الكبر وبيانه، ٩٣/١، ح (٩١) عن عبد الله بن مسعود وهو جزء من حديث.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ٢٩٩/١.

والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصور " [١].

ونلاحظ من خلال التعريفات اللغوية أن لفظ الجمال يطلق ويراد به معنيان؛ ظاهري متعلق بجمال الهيئة، ومعنوي متعلق بالأفعال والأخلاق؛ أي أنه يشمل جمال الخلق بالفتح والخلق بالضم.

إن الجمال له بالغ الأثر في النفس، فإنه إذا تمكن منها، واستجمع صورته داخلها، وانسجم مع متطلباته، لم يكن للنفس من بد إلا الشعور بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، فتمتلئ فرحا وسرورا، أما ما لا يجمل عندها فإنها منه تأنف، وعنه تبتعد.

ولو جئنا للقرآن الكريم كلام الله – ﷻ – لوجدناه " أجمل البيان نظما، وأحكم الكلام تبيانا، وأسهل الألفاظ نطقا، يستنفر العقل ليتأمل في صور الكون الحسية، وصور البيان المعنوية " [٢].

ولا عجب في ذلك فهو كلام الله جل شأنه الذي " لا يشغله شأن عن شأن، فهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا بلسان واحد، وأن يمزج الحق والجمال فلا يبغيان، ويخرج من بينهما شراب خالص سائغ للشاربين، تدبروا آيات القرآن فسترون أنها في معمعة البراهين والأحكام لا تنسى نصيب، القلب من تشويق وترقيق، وتحذير وتنفير، وتهويل وتعجيب، وتبكيت وتأنيب، تجد ذلك في مطالعها ومقاطعها بين كلماتها وحروفها " [٣].

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشـــر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ص ٢٦٢.

(٢) البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداية، إشراف: الأستاذ الدكتور/ كمال أحمد غنيم، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب، صـــ ١١.

(٣) النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، تحقيق: الشيخ/ أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، ط العاشرة ١٤٢٩هـــ – ٢٠٠٨م، ص ١١٦.

فلكل كلمة في القرآن وقعها الجمالي الذي لا يقوم به غيرها، ولكل جملة نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع، لها صورة رائعة تصور المعاني بالصورة الكاملة، أجزاؤها تعطي صورا وظلالا، تهز الوجدان، وتترك في القلوب أعمق الأثر، ما كان لِيَتِمِّ إلا بالصورة التي جاءت عليها الآيات، وأي وجه من التغيير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال ويزول الإبداع، وليس هذا للفظ وحسب؛ بل لكل معنى موقع بديع أتم تحديدا للغرض، وأعظم اتساعا للمعاني اللطيفة المرادة، إلا أن البحث قد اقتصر على الكلمة وجمالها والتي تعني " القيمة الجمالية للفظة في سياق البلاغة القرآنية.

" فهو جمال حسي بصري يبين أثر الكلمة المفردة في توصيل الصورة الفنية إلى الذهن، ويشمل تجسيم المعنويات وتشخيص الأشياء، وبثّ الحركة والحيوية في الصورة، وهو جمال حسي سمعي يبيّن جوانب موسيقية في المفردة، من حيث وقع حروفها وصفات هذه الحروف، وملاءمتها للمقام، وما تمتعت به المفردة من مدود وحركات، كما أنه جمال نفسي للقلب فيه النصيب الأكبر في تلقّيه " [1] .

المطلب الرابع : اللفظة القرآنية

القرآن الكريم كتاب الله المعجز فكل لفظة من ألفاظه تتنزل منزلة الفريدة من حب العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحة، وقوة عارضة، وجزالة منقطعة، وأصالة عربية، بحيث تكون هذه اللفظة إذا سقطت من الكلام ضاع منه الجمال وانمحى عنه البيان، ومآل ذلك كله إلى الذوق، وهذا صحيح إلى حد كبير، فهذا الذوق هو الملكة الموهوبة، التي يستطاع بها تقدير النصوص، وإننا إذا تدبرنا حقيقة الأمر، رأينا أن كل تعليل بلاغي، هو تفسير لهذا الذوق السليم، وتعليل عقلي له، فليس تعليلك لجمال النص بأن فيه إيجازا، أو إطنابا، أو حذفا، أو تقديما، سوى تفسير عقلي لذوقك

(١) جماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف، ص ٢٠ .

الذى أحس بجمال النص [١].

واختيار اللفظة ووضعها في موضعها حسب المقام ومقتضى الحال تلك موهبة لا تنال بالمراس وحده وملكة لا يؤتاها إلا القليل من الناس، لا سيما وأنت أمام لغة كثرت مفرداتها المترادفة ولكل منها مقام يحدده الذوق وملكة أدبية لا تخضع لقياس. ولا توزن بميزان " ولعل كثرة الاطلاع وتعهد النماذج الأدبية الرفيعة بالقراءة وكثرة المداولة مما ينمي هذه الملكة ويهذبها حتى تكتمل أو تدنو من الكمال. وهي في القرآن الكريم في أعلى مرتبة من حسن الانتقاء وملكة الاختيار " [٢].

واللفظة القرآنية قائمة بذاتها تسري في الآيات في سياق مبهر وتلاؤم تام، ولو تدبرنا ألفاظ القرآن في نظمها " لرأينا حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضاً، ولن نجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذُب ولا تُساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأينا لها شأناً عجيباً " [٣].

يقول الدكتور/ عبد الجواد محمد المحص: " إن كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته، ويساعد بعضه بعضا في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة، وإن العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضا " [٤].

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر – القاهرة ٢٠٠٥، صـــ٢٥.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، ٣٦٨/٢٠، ٣٦٩.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي – بيروت ط الثامنة – ١٤٢٥هـــ – ٢٠٠٥م، صـــ ١٥٦، بتصرف يسير.

(٤) الجمال في القرآن الكريم مفهومه، ومجالاته الدكتور عبد الجواد محمد المحص، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥، ص ٣٢.

وبما أن اللفظة القرآنية هي الأساس الذي يبنى منه الجمل والعبارات، فهي تعد من أقوي وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ولهذا أولاها القدماء والمحدثون عناية خاصة، فألفوا فيها واعتنوا ببيان إعجازها.

يقول الإمام الراغب الأصفهاني[١] مؤكدا على أهمية العلوم اللفظية في فهم القرآن الكريم: " إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه من أوائل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه " [٢].

وخلاصة القول: فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وبها يحفظ تاريخهم ويدون مآثرهم.

---

(١) الحسين بن محمد بن المفضل، الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهاني، له: " التفسير الكبير "، و"مفردات القرآن "، و " الذريعة إلى أسرار الشريعة "، و" المحاضرات "، و" المقامات " وغيرها. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى – دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص ١٢٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ط : الأولى ١٤١٢ هـ ، ص ٥٤ .

المبحث الثاني

أهمية الذوق ومدى حاجة المفسر إليه

المطلب الأول : أهمية الذوق

يعد التذوق هو المحصلة النهائية لدارس العلوم، وثمرة من ثمراته، وهو في أرقى معانيه قدرة الفرد على إدراك نواحي الجمال والقبح في النص، مما يجعله يقبل على قراءته أو سماعه، أو ينفر منه، وفقاً لحظ هذا النص من المقومات الجمالية.

وللتذوق أهمية كبرى بالنسبة للمبدع وللمتلقي على حد سواء، وتتضح أهميته بالنسبة للمبدع بعدما ينتهي من عمله إبداعاً وتأليفاً، فيقبل عليه لينقحه أو يراجعه، فيضيف كلمة، أو يحذف أخرى، أو ربما يعدل فكرة العمل كلية، وهو في عملية المراجعة هذه نراه يأخذ مقعده بجوار المتلقي، فيرى العمل بعين أخرى غير العين التي أبدعت وأنتجت.

أما أهميته بالنسبة للمتذوق أو المتلقي فتبرز في أن هذا المتذوق يعايش النص معايشة تكاد تكون كاملة، فيشارك المبدع أماله وآلامه، ويسبح معه في عالم الرؤى والخيالات، كما أن المتذوق في قراءته للنص أو سماعه له ينفس عن روحه بهذه القراءة أو بهذا الاستماع هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبعث في نفسه التواقة للجمال الإحساس بهذا الجمال.

أما ذوق الناقد هو حساسيته الفنية، وهو خصوصيته في الرؤية والتشكيل، وقدرته على إبراز الجمال ليس هذا فحسب بل وتعليله للمتلقي.

يقول د/محمد العزب: " أما ذوق الناقد فهو ملكته المدربة، وهو خبرته الطويلة بمعاناة النص واقتناص عالمه من خلال مرجعية قيمية جمالية، وهو اقتداره علي توصيل المعطى النهائي للنص بكل مستوياته إلي المتلقي الذي يتفاوت تفاوتاً حتمياً، ثم هو مداه في اكتشاف عبقرية النص واكتشاف عبقرية المبدع من خلال طبقات القراءات التي تواترت عليهما، أما ذوق الجمهور المتلقي فهو نوع قابليته للتفاعل مع قيم النص الجمالية، وقيميه المضمونية علي السواء " [(١)].

---

(١) مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بالمنصورة، العدد الثاني عشر، ١٤٣٣هـ – ٢٠٠٢م، بحث للدكتور/ محمد أحمد العزب بعنوان: " في قراءة النص " ، صـ ١٤٠.

إذن فالذوق على العموم قد يكون ذوق متلقي وهو احساسه بالنص ومعايشته والتأثر به، وقد يكون ذوق المفسر والذي من خلاله يستطيع أن يستكشف مفاتيح النص فيبرز ما فيه من جمال .

ولقد فطن العلماء قديماً وحديثا إلي أهمية الذوق، فهذا إمام البيانيين عبد القاهر الجرجاني[١] يعقد له فصلاً في كتابه: " دلائل الإعجاز " يقول في مقدمته: " واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع، ولا يجد لديه قبول حتي يكون من أهل الذوق والمعرفة " [٢].

وهذا صاحب صبح الأعشى يجعل الذوق أساس كل شيء، يقول: " اللفظة الواحدة قد تنتقل من هيئة إلى هيئة أو من صفة إلى صفة فتنتقل من القبح إلى الحسن وبالعكس؛ فيصير القبيح حسنًا والحسن قبيحًا والمرجع في ذلك إلى الذوق الصحيح " [٣].

ويقول صاحب المثل السائر: " واعلم أيها الناظر في كتابي، أن مدار علم البيان علي حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعلم " [٤]. ويقول أيضا: " فإن النظم مبني علي الذوق " [٥].

---

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة من أهل جرجان (بين طبر سات وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه: أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، والعمدة في تصريف الأفعال وغيرها. انظر: الاعلام للزركلي، ٤٨/٤ – ٤٩، باختصار.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، صـ ٢٩١.

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٤١/٢.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ، ٢٥/١.

(٥) المثل السائر، ابن الأثير، ٤٧/١.

على أن البعض " لم يدع أمر الحكم لكل ذوق، بل لابد من الرواية والدراية ودقة الفطنة وصفاء القريحة، ولطف الفكر، وبعد الغوص، وملاك ذلك كله صحة الطبع، وإدمان الرياضة " (١).

فهو وإن كان موهبة فطرية قوامها الذكاء وحسن الاستعداد وسرعة البديهة، وقوة الفراسة إلا أن ذلك يحتاج في النهاية إلي دراسة وتعلم، وكثرة تصفح، وإعمال فكر، وسعة وعمق إطلاع، فملكة الذوق لا تنبت من العدم، وهي إن كانت أمراً معنوياً وجدانياً لكنها ليست بمعزل عن مكوناتها الحسية، هذا ما أكده ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير حيث يقول: " والذوق كيفية للنفس بها تدرك الخواص والمزايا التي للكلام البليغ، وهي ناشئة عن تتبع استعمال البلغاء فتحصل لغير العربي بتتبع موارد الاستعمال والتدبر في الكلام المقطوع ببلوغه غاية البلاغة، فدعوى معرفة الذوق لا تقبل إلا من الخاصة وهو يضعف ويقوي بحسب مثافنة ذلك التدبر " (٢).

المطلب الثاني : حاجة المفسر إليه

بعد أن تحدثنا عن أهمية الذوق على العموم حرى بنا في هذا المطلب أن نتعرف على مدي حاجة المفسر لكتاب الله إلى تلك الملكة، تلك الحاجة التي وضحها وبينها صاحب البرهان في علوم القرآن حيث قال عند حديثه عن وجوه إعجاز القرآن: " اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق والجلي والأجلى والعلي والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة حمرة ودقيقة الشفتين نقية الشعر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها وأليق وأملح ولا يدرى لأي سبب كان ذلك لكنه بالذوق والمشاهدة

---

(١) فصول في النقـــد الأدبي عند العرب ، د / محمد عبد السلام هارون ، ١٤١٨ هـــ – ١٩٩٧م ، ص ٨١.

(٢) التحرير والتنوير، ٢١/١.

يعرف ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرف إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو أو باللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض " [١].

ولهذا لا يستطيع أي مفسر لكتاب الله – ﷻ – أن يدرك أسرار إعجازه إلا اذا كان من أصحاب الذوق السليم، يقول ابن عاشور : إذا كنت ممن ملك الذوق وتصفحت كلام رب العزة أطلعتك على ما يوردك موارد العزة وكشفت عن وجه إعجازه القناع " [٢].

خذ مثلا على هذا ما جاء عن ابن الأثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ [٣].

والذي استطاع من خلال ذوقه أن يدرك السر الجمالي وراء ترتيب الألفاظ الواردة في الآية، يقول: " وأحسن هذه الألفاظ الخمسة هي الطّوفان والجراد والدم، فلما وردت هذه الألفاظ بجملتها قدّم منها لفظتا الطوفان والجراد، وأخّرت لفظة «الدّم» آخرا، وجعلت لفظة القمّل، والضّفادع في الوسط، ليطرق السّمع أولا الحسن من الألفاظ الخمسة، وينتهي إليه آخرا، ثمّ إنّ لفظة الدّم أحسن من لفظة الطّوفان والجراد،

---

(١) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٢٤/٢.

(٢) التحرير والتنوير، ١٠١/١.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٣٣.

وأخفّ في الاستعمال، ومن أجل ذلك جيء بها آخرا " [١].

بل إن بعض العلماء كالإمام الجرجاني اعتمد على الذوق والفطرة النقية لاستكشاف آفاق جديدة من معاني اعجاز القرآن فتراه يقول : " فالإعجاز يدرك بالعقل من خلال مقاييسه الثابتة ويدرك بالفطرة والذوق من خلال اكتشاف آفاق جمالية في النص القرآني " [٢].

وقد وجدنا الإمام محمد عبده[٣] يوضح لنا معنى التفسير الصحيح للقرآن فيقول: " ما يكون عن ذوق سليم تصيبه أساليب القرآن بعجائبها، وتملكه مواعظه فتشغله عما بين يديه مما سواه، لا أُريد الفهم المأخوذ بالتسليم الأعمى من الكتب أخذاً جافاً، لم يصحبه ذلك الذوق وما يتبعه من رقة الشعور ولطف الوجدان، اللَّذين هما مدار التعقل والتأثر والفهم والتدبر " [٤].

من هنا يتبين أهمية ملكة الذوق لدي المفسر لإدراك اللطائف الجمالية في القرآن

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ١٦٩/١.

(٢) المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص ٢٤١ .

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله، فقيه، مفسر، متكلم، حكيم، أديب، لغوي، كاتب، صحافي سياسي. ولد في شنيرا من قرى الغربية بمصر في أواخر ١٢٦٦هـ، اشتغل بالتدريس والتأليف، منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية، توفي بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة، من تصانيفه: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، رسالة التوحيد، وغيرها. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٧٢/١٠ – ٢٧٣، باختصار.

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م ، ٢٣/١.

الكريم والمحاسن الخفية.

ومما يجب التنبيه عليه: أن المفسرين في ذوقهم تفاوتوا ؛ فمنهم من كان ذواقا ذاتيا للفظ القرآني يستشف الجمال ولا يعلله وهذا المنحى من التذوق انتصر له البعض يقول د/ محمود توفيق في بيان منزلة الذاتية في تحليل البيان القرآني: " البيان القرآني وحي من الله – ﷻ – لم يجعله خاضعاً لسلطان ما يصرف ويشهد من معايير وقواعد بيان الإنسان، لأن ما كان من الله – ﷻ – لا يخضع لما كان من الإنسان علي الرغم من أنه اتخذ لغة الإنسان مظهرا للقرآن الكريم حتي يبين لهم الذي يختلفون فيه، ومن ثم لا يصلح كل ما استنبطه العلماء من قواعد وبيان الإنسان أن يتخذ معيارا أو نموذجا يلتزم به في التحليل البياني للسورة " (١).

بينما نحى بعضهم في تذوقه منحًى موضوعياً من حيث اللفظ ومعناه وسر جماله كل ذلك علي حسب قواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغه وغيرها من الأمور، وقد انتصر البعض أيضا لهذا المنحى من التذوق، يقول ابن عاشور – / – منتصرا له حيث كان يميل في أغلب تفسيره إلى التذوق الموضوعي: " فيقول: " لإيجاد الذوق أو تكميله لم يكن غني للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد علي المراد في الآية ببيت من الشعر أو بشيء من كلام العرب لتكميل ما عنده من الذوق عند خفاء المعني ولإقناع السامع والمتعلم اللذين لم يكمل لهما الذوق في المشكلات، وهذا كما قلناه آنفا شيء وراء قواعد علم العربية وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لها، وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن " (٢).

ويقول صاحب الصناعتين مبينا أهمية البلاغة لتذوق الجمال القرآني:

---

(١) العزف علي أنوار الذكر – معالم الطريق إلي فقه المعني القرآني في سياق السورة، د/ محمود توفيق محمد سعد، بدون طبعة، ص ١٤٤ .

(٢) التحرير والتنوير، ٢١/١.

" أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنّه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها " [1] .

والرأي – والله أعلم – أن كلا المنحيين فيهما إدراك للأسرار الجمالية في القرآن؛ فالقرآن من ناحية يلمس القلوب ويتملكها دون التقيد فيه بأي قاعدة بلاغية كانت أو نحوية فله الحظ الوافر من البيان الذي أعجز به البلغاء، وجعل الكفار المعاندين يقرون أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، لأنهم أحسوا بحلاوة عباراته، وعذوبة أسلوبه، كما أخبر بذلك الوليد بن المغيرة بعد أن استمع لكلمات الله التي لامست قلبه فقال : " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمغدق أسفله، مثمر أعلاه، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ما يقول هذا بشر فإذا كان هذا التذوق لحلاوة القرآن من كافر فما بالنا ونحن المسلمين فمن كان محباً للقرآن فليتذوق حلاوته، وليستنشق عبيره، وليقف أمام الآيات متذوقا متدبرا، ومتخيلا متأملا، فسيجد في هذا لذة غامرة تغمر كيانه وفؤاده، وهذا هو ما نعنيه بالذوق الذاتي.

من ناحية أخري فإن القرآن متميز بأسلوبه، ونظمه، وبلاغته، ولكي نصل إلي الجمال فيه لابد من فهم القواعد العربية يقول ابن عاشور : " إن القرآن الكريم كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس عربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي متن اللغة

---

(١) الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ ، المقدمة.

والتصريف والنحو والمعاني والبيان " [١].

وهو الذوق القائم على القواعد العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها فكلاهما الهدف منهما هو خدمة كتاب الله وإبراز ما فيه من الجمال، هذا الجمال الذي يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك الوجدان، وما علينا إلا أن نتذوق كلمات القرآن، وآياته، وتعبيراته، وصوره، ونغوص في أعماق معانيه، لنحاول الوصول إلى مداركه الجمالية وأسراره الخفية، فنستشعر حقيقته، ونتشرب بيانه المعجز الذي لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه.

ولنضرب مثالا يتضح به هذا التفاوت في الذوق عند المفسر، فقد كان منهم من يكتفي بذكر الكلمة ومعناها، كما هو الحال عند بعض المفسرين يقول مقاتل[٢] مثلا في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣]. يقول : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ منه ﴿ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً ﴾ يعني: يعيشكم عيشا حسنا في الدنيا في عافية ولا يعاقبكم بالسنين ولا بغيرها ﴿ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ يعني إلى منتهى آجالكم ﴿ وَيُؤْتِ ﴾ في الآخرة ﴿ كُلَّ ذِي فَضْلٍ ﴾ في العمل في الدنيا ﴿ فَضْلَهُ ﴾ في الدرجات ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ يعني تعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ – يعني: عظيم فلم يتوبوا فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتى أكلوا العظام، والموتى، والكلاب، والجيف، ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في الآخـــرة لا يغـــادر منكم أحد

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/١.

(٢) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن، مفسر، متكلم، أصله من بلخ، عاش أولا في البصرة، ثم بعد ذلك في بغداد وحدث بها، اختلف العلماء في أمره، فمنهم من وثقه في الرواية، ومنهم من نسبه إلى الكذب. انظر: ترجمته في معجم المفسرين، ٦٨٢/٢ وما بعدها.

(٣) سورة هود الآيتان ٣ – ٤.

﴿ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من البعث وغيره قَدِير ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ يعني يلوون وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن نكسوا رءوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن ﴿ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ﴾ يعني من النبي – ﷺ – " (١).

ومثل هذا التفسير خال من الذوق الا ما ندر يلجأ إليه القاريء لمعرفة معنى آية أو معرفة سبب نزول أو ترجيح رأي إلخ، أما أن يستأنس فيه القارئ بمعنى لطيف أو نكتة طريفة أو قيمة بيانية أو لفتة إعجازية فهو من النادر كما قلنا.

بل إنهم قد تتفاوت ملكتهم في الذوق للفظ الواحد ومرجع ذلك – والله أعلم – إلى أمور كثيرة منها على سبيل المثال :

١ – تفاوت الثقافة أو تنوعها، فعالم اللغة والبيان يرى فيها أمورا تختلف بالكلية مع ما يراه فيها الفقيه مثلا أو الصوفي أو الفلكي أو غيره.

٢ – حالة العصر، وربما يؤثر هذا على منحى الذوق عند المفسر فكثيرا ما نرى تأثير حالة العصر وما فيه من مشاكسات أو خلافات أو نزاعات حول قضية أو حكم أو فتنة ما، والمفسر بصفته فردا من أمة يعيش فيها لا يستطيع أن يعزل نفسه تماما عن أوضاع أمته أو مشاكل عصره حتى وإن عزم فإن أثر ذلك يظهر في تفسيره ويلمح في طريقة تذوقه للنص القرآني .

٣ – موهبة المفسر، ولا شك أن هذا الأخير له الحظ الأوفر في اختلاف طرق الذوق ومدى الامتاع والاقناع اللذين يكسبان تفسيره التفرد والجمال.

إلى غير ذلك من الأسباب التي تؤثر على الذوق وتكون مدعاة لاختلافه وتفاوته، ولنضرب مثالا على تفسيرهم للفظ قرآني وكيف أن ذوقهم للفظ اختلف من مفسر

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٣هـ، ٢/٢١٧.

لآخر وهو لفظ " أنلزمكموها " في قوله تعالى: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [١] .

فمثلا يقول الإمام القرطبي[٢] في تفسيرها: " (أنلزمكموها) قيل: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الهاء ترجع إلى الرحمة. وقيل: إلى البينة، أي أنلزمكم قبولها، وأوجبها عليكم ؟! وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها، وإنما قصد نوح – عليه السلام – بهذا القول أن يرد عليهم " [٣].

وقال صاحب التسهيل في تفسيرها: " ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوها ﴾ أي أنكرهكم على قبولها قهرا ؟ وهذا هو جواب أرأيتم: ومعنى الآية أن نوحا – عليه السلام – قال لقومه: أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون ؟ " [٤].

فمثل هذا التفسير لم يتعد الكلمة ومعناها اللغوي ولم يفتش بذوقه الرفيع عما تحتويه هذه المفردة من معان دفينة وأسرار لطيفة.

وهناك من انشغل عن تعليل الجمال دون ذكره بالحديث مطولا عن النكت اللفظية والقواعد اللغوية كما بدا لنا جليا في تفسير صاحب البحر المحيط لها حيث يقول: أنلزمكموها ؟ فهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لقوله: أرأيتم، وجواب

---

(١) سورة هود من الآية ٢٨.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، محدث، صالح متعبد، من أهل قرطبة بالأندلس، قال الإمام الذهبي عنه: " إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة إطلاعه ووفور عقله وفضله. انظر ترجمته في: معجم المفسرين « من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر » لعادل نويهض، ٤٧٩/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٢٥/٩ – ٢٦.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٦هـ، ٣٦٩/١.

الشرط محذوف يدل عليه أرأيتم، وجيء بالضميرين متصلين في أنلزمكموها، لتقدم ضمير الخطاب على ضمير الغيبة، ولو انعكس لانفصل ضمير الخطاب خلافا لمن أجاز الاتصال. قال الزمخشري[١]: " ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك: أنلزمكم إياها ونحوه. فسيكفيكهم الله، ويجوز فسيكفيك إياهم.

قال سيبويه[٢]: فإذا كان المفعولان اللذان تعدى إليهما فعل الفاعل مخاطبا وغائبا، فبدأت بالمخاطب قبل الغائب، فإن علامة الغائب العلامة التي لا يقع موقعها إياه وذلك قولك: أعطيتكه وقد أعطاكه. قال الله تعالى: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ فهذا كهذا، إذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب انتهى [٣].

قال الزجاج [٤] : أجمع النحويون البصريون على أنه لا يجوز إسكان حركة

---

(١) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه، توفي ٥٣٨هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٦٨/٥ – ١٧٤ باختصار.

(٢) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي؛ كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكره الجاحظ يوماً فقال: لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، تُوفي بشيراز، سنة ثَمَانِينَ وَمِائَة. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان

لابن خلكان، ٤٦٣/٣، وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، تحقيق: الدكتور/ عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، صـ ٩٠ وما بعدها.

(٣) انظر: الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٣٦٤/٢.

(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد، كان في =

الإعراب إلا في ضرورة الشعر [١] " [٢].

وقد نقلت نص البحر المحيط؛ ليظهر لنا مدى اهتمام المفسر بقوانين اللغة وقواعدها فانشغل بتعليل الجمال دون استخراجه.

على جانب آخر نجد أن منهم من تفاعل مع اللفظ، وجعله يتحدث عن مخزون المعاني التي يحتويها، وذلك بذكر حال ما هم عليه قبل البلاغ من عدم الاستجابة أصلا أو الاستعداد للقبول استكبارا وكفرا، وحالهم من الدعوة وقتها من نفي وكره وعدم إقرار فخفى عليهم دليل العقل ولم ينالوه حتى زعموا مثليتهم للنبي وهي متحققة في نفسها، فلو تركوا العناد واللجاج ونظروا في الدليل لظهر المقصود وتبين لهم فضله – عليه السلام – عليهم وأحقيته بمنزلة النبوة منهم وهو لا يقدر على إعطائهم الإلهام والمعرفة في تلك الحجة وإنما يقدر على أن يدعوهم إلى الله، يقول الامام الرازي في معرض الحديث عن رد نوح – عليه السلام – على شبهتهم في انكارهم نبوته –: " فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفتها شئتم أم أبيتم ؟ والمراد أني لا أقدر على ذلك البتة ... وحاصل الكلام أنهم لما قالوا: ﴿ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ [٣] ذكر نوح – عليه السلام – أن ذلك بسبب أن الحجة عميت عليكم واشتبهت، فأما لو تركتم العناد واللجاج ونظرتم في الدليل لظهر المقصود، وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما " [٤].

= فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد من كتبه: (معاني القرآن – خ)، و(الاشتقاق)، و (خلق الإنسان – ط)، و (الأمالي) في الأدب واللغة، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي، ١/ ٤٠.

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٣/ ٤٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ، ٦/ ١٤٣ – ١٤٤.

(٣) سورة هود من الآية ٢٧.

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ، ١٧/ ٣٣٨ باختصار.

وهناك منهج أخر في التذوق قد ابتعد فيه صاحبه عن الحديث عن معاني الكلمة وشموليتها وعمقها لينحو منحى آخر فيه من حيث الحديث عن الواقع وربطها بظروف العصر ونوائب الحياة كما جاء في تفسير المنار: " أي أنلزمكم إياها بالجبر والإكراه، والحال أنكم كارهون لها إنكارا وجحودا واستكبارا ؟ أي لا نفعل ذلك؛ فإن الإسلام لا يصح إلا بإيمان الإذعان: وما على الرسول إلا البلاغ، وهو أول نص في دين الله– تعالى – يدل على أنه ما كان ولا يصح أن يكون بالإكراه، وأما ما فعله نصارى الإفرنج في سابق تاريخهم – وما لا يزال يفعله بعضهم في مستعمراتهم – من التنصير بإجبار الأقوام على النصرانية، فهو مما امتازوا به على أمم الشرق في ظلمهم وتعصبهم " [(١)].

والمعني أن الدعوة لا يصح أن تكون بالإكراه على عكس ما فعله نصارى الإفرنج في سابق تاريخهم – ولا يزال يفعله بعضهم في مستعمراتهم – من التنصير بالإجبار والإكراه، وهذا مما امتاز به الاسلام على أمم الشرق في جبروتهم وظلمهم، فدعوة الدين والهدي تقوم بالبينة والحجة، لا بالإكراه والقوة، أو بالخداع والحيلة، لهذا نجد المفسر ربط تذوقه للفظ بظروف العصر ونوائب الحياة.

وللشيخ الشعراوي في خواطره في تفسيرها معان جليلة وأقوال سديدة يبين مدى توفر تلك الملكة الذوقية لديه – رحمه الله – حيث يقول: " لا إلزام من الرسول لقومه بأن يؤمنوا؛ لأن الإيمان يحتاج إلى قلوب، لا قوالب، وإكراه القوالب لا يزرع الإيمان في القلوب، والحق سبحانه يريد من خلقه قلوباً تخشع، لا قوالب تخضع، ولو شاء سبحانه لأرغمهم وأخضعهم كما أخضع الكون كله له ... والحق – ﷻ – لو أراد قوالب لأخضع الخلق كلهم لعبادته، ولكنه – ﷻ – يريد قلوباً تخشع؛ وهكذا نعلم أن الحق سبحانه مُنَزَّهٌ عن رغبة إخضاع القوالب البشرية، بل شاء سبحانه أن يجعل الإنسان

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م، ٥٥/١٢.

مختاراً؛ وهكذا يطلب الحق سبحانه من الخلق أن يعرضوا أمر الإيمان على العقل، فالعقل بالإدراك ينفعل متعجباً لإبداع المبدع، وعند الإعجاب يترع إلى اختياره بيقين المؤمن، والإكراه إنما يكون على أمر غير مُتَبَيَّن، أما الدِّين فأمر يتبيَّن فيه الرشد؛ لأن المنهج حين يطلب منك ألا تسرق غيرك، فهو يضمن لك ألا يسرقك الغير، وحين يأمرك ألا تنظر إلى محارم غيرك، فهو يحمي محارمك، وحين يأمرك ألا تغتاب أحداً، وألا تحقد على أحد، ففي هذا كله راحة للإنسان " [١].

واختم الكلام بما جاء في كتاب جماليات المفردة القرآنية عند الحديث عن جمال اللفظ، يقول صاحب الكتاب: " ونستطيع أن نتلمّس جمال كلمة «أنلزمكموها» بألا نسير وفق نظرة القدامى، فلا نقف عند عدد حروفها، إلّا فيما يتعلّق بالمضمون، ففيها سمة الاختزان، لأن صيغتها تعني وجود مفعولين، وكأنّما أضمر هذان المفعولان لموافقة نبرة الغضب التي تتطلّب السّرعة، والمفعولان هما الكفّار والآيات، وكذلك يضمر مفعولان في كلمة «فسيكفيكهم» وكأنّ غرابة استعمال الكلمة على هذا الشّكل يمثّل غرابة الموقف الإلهي من البشر، فإنه – ﷻ – لا يجعل الإيمان فعلا قسريا كالتّنفّس والنّوم، مما ينفي إرادة البشر، ويحطّ من كرامتهم، ومن ثمّ يبطل الثّواب، إذ لا ثواب على فعل التّنفّس مثلا، ويكون للتنفس والنوم ثواب إذا قصد بهما مواصلة العبادة، ومن هذا ثواب الطعام الذي يقصد به التقوّي على إقامة العبادة والنّسك الربانية. فالإيمان محض اختيار، لأنه أرقى من سائر التصرّفات البشرية " [٢].

وهكذا رأينا كيف اختلف المفسرون في فهم تلك اللفظة وكيف استنطقوها لتكشف عن بديع معانيها ، ولسنا نقصد بالاختلاف تباين المعاني للكلمة بل الكل مراد ، ولكن قصدنا كيف اختلف تناولهم لها من منظور بياني أو جمالي أو اجتماعي .

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١١/٦٤٣٧ – ٦٤٣٨، باختصار.

(٢) جماليات المفردة القرآنية، لأحمد ياسوف، دار المكتبي – دمشق، ط: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ص ١٨٥ – ١٨٦.

المبحث الثالث

أثر الذوق في ابراز جمال اللفظة القرآنية.

إن تذوق المفسر لكتاب الله – ﷻ – وإمعان النظر فيه وتدبره يجعله يدرك الأسرار الخفية وراء الألفاظ والمعاني، ولقد تجلى هذا في اهتمامهم باللفظ القرآني، واستخراج مكنون المعاني التي تحتويه تلك اللفظة، وذلك في جوانب عدة امتازت به تلك اللفظة أهمها – ما اقتصر عليه البحث – وهي كالتالي: "

١– جمال وقعها في السمع.

٢– اتساقها الكامل مع المعنى.

٣– اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات " [١].

وسوف يتناول هذا المبحث تذوق المفسرين للفظة القرآنية من خلال هذه المميزات الثلاثة .

---

(١) الإعجاز في نظم القرآن محمود السيد شيخون، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م، صـ ١١٣.

المطلب الأول : تذوق المفسرين للفظة القرآنية من حيث جمال وقعها في السمع

تمتاز اللفظة القرآنية بسهولتها ويسرها وعذوبتها ووقعها على السمع في اتساق وانسجام يقول الدكتور حفني محمد شرف: " اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة قد يعبر عنه بأفصح مما يلائم الجزء الآخر، ولابد من استحضار معاني الجمل، واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله، كذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه وإن كان مشتملا على الفصيح والأفصح والمليح والأملح " [١].

والأمثلة الموضحة لتذوق المفسرين لجمال اللفظة القرآنية من حيث جرسها وجمال وقعها في السمع، كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر.

قوله تعالى في وصف كل من الليل والصبح : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [٢] .

" نتأمل كلمة " عسعس، تنفس " يذكرهما القرآن لوصف كل من الليل والصبح سنجد أن هناك تجسيما واضحا للمعنى المراد في هاتين الكلمتين ونحس أن كل منهما تبعث في خيالنا صورة واضحة بارزة محسوسة المعنى، بل ونعلم أنه ليس في مقدورنا أن نصور إقبال الليل وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدق وأدل من كلمة عسعس، أو أن نصور انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أدق وأروع من كلمة تنفس، إننا لو فتشنا معاجم اللغة وقواميسها، لن نجد أدق من هاتين الكلمتين في التعبير عن هذين المعنيين " [٣].

---

(١) اعجاز القرآن البياني، د/ حفني شرف، مطابع الأهرام ١٩٧٠م، ص ٢٢٧.

(٢) سورة التكوير الآيتان ١٧ – ١٨.

(٣) دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية، د/ عبد القادر رزق الطويل، دار البيان، ص ٣٢.

يقول الإمام المراغي[١] – رحمه الله – : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ ﴾ أي والليل إذا أدبر وولى ، وفى إدباره زوال الغمّة التي تغمر الأحيـــاء ، بانسدال الظلمة وانحسارها ، ﴿ وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ ﴾ أي والصبح إذا أسفر وظهر نوره، وفى ذلك بشرى للأنفس بحياة جديدة في نهار جديد، إذ تنطلق الإرادات، لتحصيل الرغبات، وسدّ الحاجات، واستدراك ما فات، والاستعداد لما هو آت " [٢].

ولننظر إلى ذوق الإمام المراغي حيث استشعر الجمال في كلمة " عسعس " وجمال وقعها حيث توحي بانسدال الظلمة وانحسارها بينما توحي كلمة " تنفس " إلى أنه مولد حياة للأحياء جميعها، حيث تبعث الحياة من جديد في الأحياء، مع الصباح، بعد أن غشيها النوم، وحبسها عن الحركة، فبدت وكأنها في عالم الموتى " [٣].

فما أجمل هذا التعبير القرآني وما أجمل عبارات المتذوقين له وقد أعجبني هذا التعبير الذي قرأته في كتاب " وظيفة الصورة الفنية في القرآن لمؤلفه/ عبد السلام أحمد راغب حيث يقول: " إنها صورة الليل وهو يعسّ في الظلام بحركة وئيدة بطيئة، صورة حية شاخصة، على طريقة القرآن في التشخيص، لتحقيق منتهى التأثير بهذه الصورة الشاخصة، ولفظ عَسْعَسَ بجرسه المؤلّف من مقطعين يوحي بهذه الحركة الهادئة البطيئة لدخول الليل، ويرسم الظلال الكونية المتدرجة المصاحبة لدخوله. وصورة الصبح أيضا تعتمد على التشخيص للمشهد الكوني، فهو يتنفس، كما يتنفس الأحياء ولكن عن

---

(١) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، ولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، توفي بالقاهرة١٣٧١هـــ. انظر: الأعلام ٢٥٨/١.

(٢) تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥هـــ – ١٩٤٦م، ٥٩/٣٠.

(٣) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٧٣/١٦.

الحركة والضياء " [١].

وفي التعبير بلفظ: " اثاقلتم " في قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [٢] " لأسمى درجات البلاغة، وأعلى مراتب التصوير الصادق؛ لأنه بلفظه وجرسه يمثل الجسم المسترخي الثقيل الذي استقر على الأرض .. والذي كلما حاول الرافعون أن يرفعوه عاد إليه ثقله فسقط من بين أيديهم، وأخلد إلى الأرض، وذلك لأن ما استولى عليه من حب للذائذ الدنيا وشهواتها، أثقل بكثير من حبه لنعيم الآخرة وخيراتها[٣].

فما أجمل هذا التعبير القرآني والذي " يصور المعنى أبدع تصوير؛ لأن التثاقل يقاوم حركات الرافعين له، كلما رُفِعَ تساقط وهوى إلى الأرض، والذين قعدوا عن الجهاد مثلهم مع الداعي إليه مثل التثاقل مع رافعيه، هذه صورة يدركها الخيال، ومنظر ماثل أمام الناظرين تصوره كلمة واحدة هي " اثَّاقَلْتُمْ " بما تثيره من خيال " ظل "، وبما توحي به نغماتها من رنين " جرس " فهي تتكون – بحسب نطقها – من أربعة مقاطع صوتية، وكل مقطع منها مكون من فتح وسكون، والفتح والضم حركة تشبه دعوة الداعي، والسكون على المقاطع تملص من تلك الحركات الرافعة، وإخلاد إلى الأرض[٤].

ونسمع كلمة " يصطرخون " في الآية: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ٢١٥.

(٢) سورة التوبة آية ٣٨.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى، ٢٨٩/٦.

(٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ٢٦٤/١.

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [١] أي " يستغيثون في النار بالصوت العالي والصراخ الصوت العالي " [٢].

ونلاحظ أن التعبير القرآني جاء بكلمة (يصطرخون) بدلا من (يصرخون) " للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد " [٣] .

إننا لنلمح أن من وراء هذا اللفظ صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم منه يصطرخون " فهو تصوير لثقل الصراخ المرير الذي يتضاغى فيه المجرمون من ألم العذاب في نار جهنم، فهو ليس صراخا، بل اصطراخا عظيما، لا تبقى معه قوة لدى هذا المخلوق إلا استنفرها من أعماقه، إن هذا التصوير الجميل مبعثه صياغة المفردة وشكلها وعلاقة حروفها بعضها ببعض "[٤].

يقول الدكتور/ فهد الرومي: " تلكم سمة بارزة في أسلوب القرآن يفعم الكلمة بالحركة، والجملة بالمشاهد والصور المتحركة، حتى لتحسب نفسك في معمعة الحدث، فتنفعل مع المشهد قدر حضور ذهنك، وقدر تأملك وتدبرك، ومن ثم يكون التأثر بالنص القرآني، فتلين له القلوب، وتقشعر له الجلود، وتفيض منه الدموع " [٥].

---

(١) سورة فاطر، الآيتان ٣٦ – ٣٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٣٥٢/١٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، ٣٠٠/٣.

(٤) الإعجاز الفني في القرآن، د/ عمر السلامي، مؤسسة عبد الكريم، تونس ١٩٨٠م، ص ٩٠.

(٥) خصائص القرآن، د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، المؤسسة العربية الحديثة، ص ٥٦.

وهذا هو بعينيه ما نسميه بالذوق الذاتي القائم على استشعار الجمال في اللفظ ذاته دون تعليل أو ضوابط.

على الجانب الآخر نلاحظ بعض المفسرين لكي يتذوق جمال المفردة من حيث جمال وقعها في السمع يخضعها إلى القواعد البلاغية.

مثال ذلك نراه عندما وضح ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [١]. أن القرآن استعمل لفظ جهرة دون لفظ عيانا وذلك لخفة هذا اللفظ يقول: " ووجه العدول عن أن يقول عيانا إلى قوله (جهرة) لأن جهرة أفصح لفظا لخفته، فإنه غير مبدوء بحرف حلق والابتداء بحرف الحلق أتعب للحلق من وقوعه في وسط الكلام ولسلامته من حرف العلة وكذلك يجتبي البلغاء بعض الألفاظ على بعض لحسن وقعها في الكلام وخفتها على السمع وللقرآن السهم المعلى في ذلك وهو في غاية الفصاحة " [٢].

ومن ذلك ايضا عند تفسيره لكلمة " ليا " في قول الله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٣] ، يقول: " واللي أصله الانعطاف والانثناء، ومنه «ولا تلوون على أحد»، وهو يحتمل الحقيقة في كلتا الكلمتين: اللي، والألسنة، أي أنهم يثنون ألسنتهم ليكون الكلام مشبها لغتين بأن يشبعوا حركات، أو يقصروا مشبعات، أو يفخموا مرققا، أو يرققوا مفخما، ليعطي اللفظ في السمع صورة تشبه صورة كلمة أخرى، فإنه قد تخرج كلمة من زنة إلى زنة، ومن لغة إلى لغة

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٥.

(٢) التحرير والتنوير ١/٥٠٧.

(٣) سورة النساء الآية ٤٦.

بمثل هذا " [١] ، حيث استعملت مادة (لوى) في القرآن الكريم بدلالتها اللغوية، وهي الميل والإعراض الدنيوي، فهو سلوك يخفي الرفض، إلا انه قد يبدي حركة لسانية فيها تحويل الكلام عن جهته كالذي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] " أي: يقلبون ألسنتهم بالتحريف والزيادة فهم: يفتلون ألسنتهم بقراءته عن الصحيح إلى المحرف " [٣] .

وخلاصة القول : فإن جمال وقع المفردة وانسجامها في السمع لمن أهم وجوه الاعجاز القرآني والتي تذوقها المفسرون عند تفاسيرهم لكتاب الله على تفاوت تذوقهم لها، وهذا خير دليل على وضوح معانيه، وكثرة دلالته مع قلة ألفاظه، وفصاحته، وحسن آياته، وحسن مواقعها في السمع وذلك من آثار ما أراد الله به من عموم الهداية به، والصلاحية لكل أمة.

المطلب الثاني : تذوق المفسرين للفظة القرآنية من حيث اتساقها الكامل مع المعنى

ويعني " أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له " [٤] فإذا كان المعنى فخما كان اللفظ الموضوع له جزلا، وإذا كان المعنى رشيقا، كان اللفظ رقيقا، وإذا كان المعنى غريبا كان اللفظ كذلك. وهو واد من أودية البلاغة، وكنز من كنوز البيان، يقول

---

(١) التحرير والتنوير، ٧٦/٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧هـ، ٥١٧/١.

(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد ابن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي، تقديم وتحقيق: الدكتور/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، صـ١٩٤.

د/ محمود السيد شيخون : " وأنت إذا قرأت القرآن بتدبر وامعان، وكنت ممن أوتوا حظا من البلاغة والبيان، أدركت أن ألفاظه مؤتلفة مع معانيه، ائتلافا عجيبا معجزا للإنس والجان، وأدركت أيضا أن هذا الائتلاف يشتمل على حكم وأسرار تبهر العقول وتأخذ بمجامع القلوب " (١).

إن المفردة القرآنية تتميز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد ، فمهما استبدلت بها غيرها ، لم يسد مسدها ، ولم يغن غناءها ، ولم يؤد الصورة التي تؤديها " (٢).

والأمثلة كثيرة توضح مدي تذوق المفسرين هذا السر الجمالي في اللفظ القرآني ومدي اتساقه مع المعني، على أنه كما قلت منهم من نظر للفظ ذاته ومنهم من ضبط حسن هذا الجمال بالقاعدة البلاغية.

فمن الأول : ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (٣) .

" وأصل الحبوط: انتفاخ بطن الدابة بسبب امتلائها بالغذاء الفاسد الذي يؤدى إلى هلاكها، والتعبير بالحبوط هنا في أعلى درجات البلاغة، لأن هؤلاء الكافرين ملأوا صحائف أعمالهم بالأقوال والأفعال القبيحة التي ظنوها حسنة، فترتب على ذلك هلاكهم وسوء مصيرهم " (٤).

يقول د/ عبد السلام أحمد الراغب: " وهنا نلاحظ العلاقة والتشابه بين المدلول

---

(١) من أسرار البلاغة في القرآن، د/ محمود السيد شيخون، المؤسسة العربية الحديثة، ص ١٠٢.

(٢) كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، د/ محمد محمد داود، دار المنار، ص ٢٠٥.

(٣) سورة الكهف الآية ١٠٥.

(٤) التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ٥٨٤/٨.

الحسي للكلمة، وصورة أعمال الكافرين التي تكبر، وتنتفخ في المظهر، أو الشكل كانتفاخ بطن البعير، ولكن لا قيمة لهذا الانتفاخ، لأنه ناتج عن داء، والنهاية تكون هلاك البعير، كذلك بطلان أعمال الكافرين، لأن الأساس الذي بنيت عليه غير موجود، وهو الإيمان، فالإيمان وحده، هو الذي يمنح الأعمال قيمة عند الله ووزنا، وهكذا تستثمر الصورة الدلالة اللغوية للكلمة، للإيحاء بالمعاني الدينية، فالأعمال القائمة على الإيمان، هي الباقية والمفيدة، والأعمال النابتة من سموم الباطل، هي أعمال ضارة، ومهلكة لأصحابها يوم القيامة، وإن عظمت في الدنيا، وكبرت وانتفخت، فهذا لا يغيّر من حقيقتها شيئا " [١].

أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [٢] .

يقول صاحب الميزان : " اختير لفظ (توسوس) ، إذ تعد الوسوسة أخفى أصناف العلم بالحضور النفساني الخفي، إشارة إلى استيعاب العلم، كأنه قيل ونعلم ظاهره وباطنه " [٣].

ومن ذلك أيضا ما جاء في سبب اختيار كلمة بنورهم في قوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٤].

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : " تأمل قوله: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق – وهو النور – وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وهو النارية وتأمل كيف قال:

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ١٣١.

(٢) سورة ق الآية ١٦.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط: الأولى المحققة ١٩٩٧م، ٣٤٧/١٨.

(٤) البقرة من الآية ١٧.

«بنورهم» ولم يقل بضوئهم، مع قوله: فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ؛ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قال: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادته، وأيضا فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل الظلمات، الذين لا نور لهم. وأيضا فإن الله تعالى سمّى كتابه نورا، ورسوله نورا، ودينه نورا، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم: ذهاب بهذا كله " [١].

ولقد أعجبني هذا التفسير للفظ (مساس) ومدي اتساقها مع المعني في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [٢] والذي بينه الإمام النيسابوري حيث يقول: " إن السامري كان يستحق القتل لأنه ارتد وتسبب في ردة بني إسرائيل لكن الله تعالى خفف العقوبة عليه فقال: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ إذا واحد صافحه يصاب بالحمى فوراً، كلما لمس أحداً من الناس أصيب بالحمى فكان لا يصافح أحداً ولا يمسه أحد وهذه عقوبته مكان الإعدام " [٣].

ومن الثاني: ما جاء في تفسير كلمة: " اللطيف " في قول الله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ

---

(١) تفسير القرآن الكريم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: الشيخ/ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ ص ١١٨، وانظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير الكاتب، تحقيق مصطفى جواد مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ ، ص ١٧٠.

(٢) سورة طه الآية ٩٧.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، النيسابوري، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ٣/٢٢٠.

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

يقول ابن عاشور – رحمه الله – : " اللطيف: صفة مشبهة أو اسم فاعل. فإن اعتبرت وصفا جاريا على لطف – بضم الطاء – فهي صفة مشبهة تدل على صفة من صفات ذات الله تعالى، وهي صفة تنزيهه تعالى عن إحاطة العقول بماهيته أو إحاطة الحواس بذاته وصفاته، فيكون اختيارها للتعبير عن هذا الوصف في جانب الله تعالى هو منتهى الصراحة والرشاقة في الكلمة لأنها أقرب مادة في اللغة العربية تقرب معنى وصفه تعالى بحسب ما وضعت له اللغة من متعارف الناس، فيقرب أن تكون من المتشابه، وعليه فتكون أعم من مدلول جملة لا تدركه الأبصار، فتنزل من الجملة التي قبلها منزلة التذييل أو منزلة الاستدلال على الجزئية بالكلية فيزيد الوصف قبله تمكنا"(٢).

إن التناسب بين الألفاظ واتساقها " على ضربين: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، كما في هذه الآية فإنه سبحانه لما قدم نفي إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: " وَهُوَ اللَّطِيفُ " خطاباً للسامع بما يفهم، إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ألا ترى أن حاسة البصر لا تدرك إلا اللون من كل متلون، والكون من كل متكون، فإدراكهما إنما هو للمركبات دون المفردات "(٣). وعلي هذا المعنى حملها الكشاف لأنها الأنسب في المقام " (٤).

ومن ذلك التناسق أيضا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير، ٤١٧/٧.

(٣) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع، صـــ ٣٦٣.

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري، ٥٤/٢.

(٥) سورة طه الآيتان ١١٨ – ١١٩.

فقد قرن بين انتفاء الجوع واللباس في قوله : ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ ، وقرن بين انتفاء الظمأ وألم الجسم في قوله: ﴿ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ وفي هذا النسق الإلهي أسرار جمالية دقيقة.

" وهي أن الجوع خلو باطن الجسم عما يقيه تألمه وذلك هو الطعام، وأن العري خلو ظاهر الجسم عما يقيه تألمه وهو لفح الحر وقرص البرد، أما المناسبة بين الظمأ وبين حرارة الشمس فهي أن الأول ألم حرارة الباطن، والثاني ألم حرارة الظاهر، فهذا اقتضى عدم اقتران ذكر الظمأ والجوع، وعدم اقتران ذكر العري بألم الحر وإن كان مقتضى الظاهر جمع النظيرين في كليهما، إذ جمع النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام بحسب الظاهر ففرقهما لسلوك طريقة أبدع، وهي طريقة الطباق بالتضاد وهو أعرق في صناعة البديع " (١).

يقول صاحب البرهان – رحمه الله – : " قابل الجوع بالعري والظمأ بالضحى والواقف مع الظاهر ربما يحيل أن الجوع يقابل بالظمأ والعري بالضحى ، والمدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة لأن الجوع ألم الباطن والضحى موجب لحرارة الظاهر فاقتضت الآية جميع نفي الآفات ظاهرا وباطنا وقابل الخلو بالخلو والاحتراق بالاحتراق " (٢).

والرأي – والله أعلم – أن لهذا النسق الإبداعي والترتيب الرباني حكم ربانية وأسرار جمالية تتلخص في النقاط التالية:

أولا: أن النسق القرآني روعي فيه المناسبة بين اللباس والشبع لأنهما ضروريان ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما، بينما روعي مناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين لهما، فالري تابع للشبع والاستظلال تابع للباس.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٢/١٦– ٣٢٤ بتصرف، وانظر: تفسير المراغي، ١٥٩/١٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٤٦٥/٣.

ثانيا: أن النسق القرآني أجرى الخطاب بمقتضى العادة لأن العادة أن يقال: جوعان عريان.

ثالثا: أن الضاحى الذي لا يستر جسمه ساتر، متعرض لحرارة الشمس فيشعر كثيراً بالعطش، فصار وكأنه سبب له فلازم السبب المسبب.

رابعا: أن في هذا النسق لمحة من اللمحات البيانية والتي تسمي عند علماء البلاغة " قطع النظير عن النظير " والغرض من ذلك بيان عدد النعم التي أنعم الله به على عباده إذ لو قرن النظير بنظيره، لتوهم متوهم أن المعدود نعمتان لا أربع، هذا والله تعالى أعلى وأعلم .

وغير ذلك من الأمثلة التي تبرز جمال المفردة القرآنية التي يأتلف فيها اللفظ مع المعنى، ومن خلال هذا العرض نستطيع أن نستنبط أن من المفسرين من يري القيمة الجمالية للفظ في ذاته بينما يرى آخرين أن القيمة الجمالية في ائتلاف اللفظ مع المعنى مرجعه أن يكون اللفظ مناسبا لسياق المعنى أو لعلاقة المعنى لما قبله أو لقيمة بلاغية يؤديها المعنى، وبهذا فاللفظ عندهم خادم للمعنى .

المطلب الثالث : تذوق المفسرين للفظة القرآنية من حيث دلالتها على أكثر من معنى

تمتاز اللفظة القرآنية بما تعطيه من ايحاءات رائعة جميلة، فهي تشع بأكثر من دلالة، وتوحى بأكثر من معنى، وكل ذلك مقبول مرضي في الوجدان والعقل " [١] .

يقول الدكتور/ عبد الله دراز [٢] : " تقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من

---

(١) الجمال في القرآن الكريم مفهومه، ومجالاته للدكتور/ عبد الجواد محمد المحص، ص ٤٣ .

(٢) محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها (الدين – ط) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، توفي ١٣٧٧هـ. انظر ترجمته في: الأعلام، ٢٤٦/٦.

الشفوف، والملاسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث، كأنك لا تسمع كلاما ولغات بل ترى صورا وحقائق ماثلة، وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا، ووقفت على معناه محدودا – هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة، وكذلك ... حتى ترى للكلمة الواحدة وجوها عدة، كلها صحيح أو محتمل للصحة، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت، وهكذا نجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له؛ بل ترى محيطا مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال " [١].

والقرآن الكريم ملئ بمثل هذه الإيحاءات للفظة القرآنية مع احتفاظ تلك اللفظة بدلالتها وروعتها يقول الدكتور عبد القادر رزق الطويل: " قد يكون للكلمة القرآنية معنى قريب وأخر بعيد ومعنى ظاهر وأخر باطن ، أو معنى واضح وأخر خفي ومع ذلك فإن هذه الكلمة دائما تحتفظ بدلالتها وروعتها ولا يمكن أن يستعاض عنها بكلمة أخرى " [٢].

بل إننا إذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [٣] لأيقنا أن من لم يذق حلاوة القرآن لم يجد منه شيئا في نفسه، من ذلك ما جاء في تفاسير بعض الآيات القرآنية وهو على سبيل المثال لا الحصر :

ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ

---

(١) النبأ العظيم، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) دراسات في البيان القرآني، ص ٣٤ .

(٣) سورة النساء من الآية ١٧٤ .

أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [١] .

يقول الإمام أبو السعود [٢] : " ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ أي: سابقة ومنزلة رفيعة ... وإنّما عبّر عنها بها، إذ بها يحصل السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة " [٣] ، وأنّ إضافتها إلى (الصدق) " للدلالة على تحقّقها وثباتها والتنبيه على أنّ مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم، فإنّ التصديق لا ينفكّ عن الصدق " [٤] ، وما قال به الإمام أبو السعود في معنى القدم قد ذكره من قبله عدد من المفسّرين " [٥] ، غير أنّهم لم يشيروا إلى دلالة التحقّق والثبات في هذه الإضافة، وقد ذكرها بعض المتأخرين من المفسّرين حين قال: " كأنّ للصدق قدماً وللكذب قدماً، وقدم الصدق هي الّتي تثبت ولا تزول " [٦] .

فانظر إلى تلك الدلالات التي أفادتها إضافة القدم إلى الصدق، والتي توصل لها المفسرون بحسهم المرهف، وتذوقهم لحلاوة كتاب الله – ﷻ –.

" إن القرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما

---

(١) سورة يونس من الآية ٢ .

(٢) محمّد بن محمّد بن مصطفى، أبو السعود العمادي الحنفي، ولد: سنة (٨٩٨هـ) ثمان وتسعين وثمانمائة، شيخ الإسلام على الإطلاق ومفتي الدهر بالاتفاق الذي اشتهر صيته في الآفاق، وبرع على علماء عصره وفاق، من مشايخه، المولى قادري جلبي، وأبوه وغيرهما. انظر ترجمته في: " الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم» جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ٢٤١٨/٣ وما بعدها.

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١١٧/٤.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ١١٧/٤.

(٥) انظر: الكشاف، ٣٢٧/٢، ومفاتيح الغيب، ١٨٧/١٧.

(٦) الميزان في تفسير القرآن ٩/١١ .

يمكن من المعاني فهو ينتقي الألفاظ الجامعة – التي هي بطبيعتها اللغوية – أتم تحديدا للغرض، وأعظم اتساعا لمعانيه المناسبة " [١].

يقول الدكتور/ عبد القادر رزق الطويل: " ألفاظه – أي القرآن –مصوغة بشكل عجيب وعلى هيئة عجيبة بحيث تصلح خطابا للناس كلهم على اختلاف عقولهم وتفكيرهم وثقافتهم، أي أنها تقدم لكل قارئ من معناها ما يقدر على فهمه واستيعابه، ومن هنا كانت الكلمة القرآنية آية من آيات الإعجاز القرآني تنطق بقدرة القادر وتشهد بعظمته وسر إبداعه لآيات كتابه العزيز " [٢].

لذلك نري عندما يختلف المفسرون في تفسير كلمة في كتاب الله يحملها مفسر آخر على جميع المعاني من ذلك ما جاء في اختلاف المفسرين في كلمة " فرشا " في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ [٣] " فمنهم من قال: " الفرش ما لا يطيق الحمل من الإبل أي فهو يركب كما يفرش الفرش، وهذا قول الراغب "[٤] وقيل: الفرش الصغار من الإبل أو من الأنعام كلها لأنها قريبة من الأرض فهي كالفرش[٥] وقيل: الفرش " ما يذبح لأنه يفرش علي الأرض حين الذبح أو بعده أي: فهو الضأن والمعز والبقر لأنها تذبح[٦]، وفي اللسان: " أجمع أهل اللغة علي أن الفرش هو صغار الإبل " [٧]، زاد في

---

(١) النبأ العظيم، ص ١٦٢ .

(٢) دراسات في البيان القرآني لعبد القادر رزق الطويل ص ٤٨ ، ٤٧ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ١٤٢.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، كتاب الفاء، ص ٣٧٦ .

(٥) ينظر هذا القول في: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٨٣/٢، ومعالم التنزيل للإمام البغوي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ١٣٦/٢.

(٦) انظر: تفسير أبي السعود، ١٩٢/٣.

(٧) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الفاء مادة فرش، دار صادر بيروت الأولي، ٣٢٩/٦ .

الكشاف: " والفرش ما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش " [١].

فكل هذه المعاني ذكرها المفسرون عند تفسيرهم للآية، على الجانب الآخر حملها ابن عاشور على كل هذه المعاني فنراه بذوقه العالي يقول : "ولفظ (فرشا) صالح لهذه المعاني كلها ، ومحامله كلها مناسبة للمقام فينبغي أن تكون مقصودة من الآية وكأن لفظ الفرش لا يوازنه غيره في جمع هذه المعاني وهذا من إعجاز القرآن من جانب فصاحته " [٢].

ومنه ما جاء في تفسير لفظ " إلا " في قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [٣] .

فلقد ورد فيها معاني كثيرة فمنهم من قال : لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ، وقال آخرون : " الإل " القرابة ، وقال آخرون : الحلف ، فكلها معاني حملها المفسرون على لفظ الآية، بينما حملها الإمام الطبري على المعاني كلها فقال عند تفسيره للآية وبعد ذكره للأقوال الواردة في معني لفظ " الإل " أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد : أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم " إلا " .

و" الإل " : اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد، والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضا بمعنى " الله ". فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهدا، ولا ميثاقا " [٤].

---

(١) الكشاف للزمخشري، ٧٣/٢ .

(٢) التحرير والتنوير، ١٢٦/٨ .

(٣) سورة التوبة الآية ٨ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ١٤٨/١٤.

وغير ذلك من الأمثلة التي توضح ما امتازت به اللفظة القرآنية من اتحاد مادتها اللفظية، ومع ذلك تؤدي معاني كثيرة مما يدل على أن نظم هذه الألفاظ ليس من وضع البشر وإنما هو شيء فوق مقدورهم.

بل اننا لو تتبعنا الكلمة القرآنية وجمالها ودرسنا تذوق المفسرين لها بما تنطوي عليه من جمال بياني سواء في الآيات أو السور الكاملة لاحتاج الأمر منا إلى أبحاث مستقلة تعجز صفحات هذه الدراسة عن استيعابه، والوفاء بما يستحقه من تفصيل.

لكني اكتفي بما عرضته من الأمثلة والشواهد التي زخر بها كتب التفسير، كدليل عل ما تبرزه اللفظة القرآنية من بيان وما تتضمنه من ايحاء، ومدى الدقة في اختيارها وملاءمتها لمعناها وهذا كما قلنا سالفا يدرك لمن تذوق حلاوة القرآن.

ورحم الله الشيخ الزرقاني حين قال: "ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١] " [٢] .

لقد بدا لنا في هذه الوريقات المعدودة أثر الذوق وقدرته العجيبة في بيان المعني القرآني، وأهميته بالنسبة للمفسر حيث يستطيع به أن يقف عند المفردة وما توحي به من خفة وحسن موقع، ورشاقة، وبضمها إلي مفردات أخري تتكون الجملة التي يعجز اللسان عن وصف ما فيها من البيان، ومن جملة وأخري يتولد المعني البديع، وإن شئت

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط الثالثة، ٣١٣/٢.

فقل معاني بديعة تتوالد وتتكاثر بكثرة تلاوة القرآن وتدبر معانيه؛ ألفاظ القرآن بمثابة الأصداف لنفائس لآلئ المعاني الكلية الشاملة.

والوقوف عند تفسير اللفظ القرآني بمعناه المعجمي بدون مراعاة لنظمه وترتيبه، وبدون المُحَافظة على جميع معانيه المُرادَة منه خطأ فادح واخلال بحقه وإهمال كبير لما يحتويه من وجوه الإعجاز ومناحي البيان، ولا أدل علي ذلك من عدم جواز ترجمة ألفاظ القرآن الكريم إلي لغات أخري، لأن هذه الترجمة تطمس جمال تذوق اللفظ وموقعه، وحسن سبكه الذي هو أساس الإعجاز القرآني، " فكتابة القرآن العظيم بالعجمي تصرف في اللفظ المعجز الذي حصل به التحدي، بما لم يرد بل بما يوهم عدم الإعجاز بل الركاكة " [١] ومن هنا نلحظ دعوة القرآن الصريحة إلي عدم استخدام لفظ مكان آخر حتي لا يؤدي بنا ذلك إلي أي لبس أو تمويه [٢].

ومما يجب التنويه إليه أن توجه الاهتمامات إلي دراسة هذا العنصر وأثره في إبراز جمال اللفظ القرآني، ودراسته عند كل مفسر وبيان مدى نجاحه في كشف وجوه الاعجاز به واخفاقه في ذلك؛ فإن مثل هذه الدراسات تثري المكتبة الإسلامية بقواعد أصيلة في التفسير وإلماحات بديعة في التجديد.

---

(١) القرآن الحكيم – رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم ، د/ صلاح الدين بسيوني رسلان، ص ١٦٦، نقلا عن: شرح أصول البزدوي للإمام عبد العزيز بن أحمد الحنفي، ص ٣٩.

(٢) مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٤] .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات انتهيت من بحثي والذي كان بعنوان: " ملكة الذوق عند المفسر وأثرها في إبراز جمال اللفظة القرآنية " وقد تحدثت فيه عن أثر الذوق ومدى حاجة المفسر إليه ومدى تأثير تلك الملكة العظيمة على إبراز مناحي إعجاز القرآن الكريم الذي هو معجزة الله الخالدة، وقد خلصت من خلال البحث إلى النتائج التالية:

١- من الأهمية توفر ملكة الذوق عند المفسر؛ حيث إن ترسخ هذه الملكة لديه تجعله يتذوق حلاوة النص القرآني، ويفهم مراميه، ويعي مقاصده، ولن يستطيع أن يدرك أسرار إعجاز القرآن إلا إذا كان من أصحاب الذوق السليم.

٢- الذوق وإن كان موهبة فطرية قوامها الذكاء وحسن الاستعداد وسرعة البديهة، وقوة الفراسة إلا أن ذلك يحتاج في النهاية إلي دراسة وتعلم.

٣- أن لفظ الجمال يطلق ويراد به معنيان؛ ظاهري متعلق بجمال الهيئة، ومعنوي متعلق بالأفعال والأخلاق؛ أي أنه يشمل جمال الخلق بالفتح والخلق بالضم، و له بالغ الأثر في النفس، فإنه إذا تمكن منها، واستجمع صورته داخلها، وانسجم مع متطلباته، لم يكن للنفس من بد إلا الشعور بالراحة.

٤- اللفظة القرآنية هي لبّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وهي الأساس الذي تبنى منه الجمل والعبارات، لذا تعد من أقوي وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

٥- الذوق على العموم قد يكون ذوق متلقي وهو احساسه بالنص ومعايشته والتأثر به، وقد يكون ذوق المفسر والذي من خلاله يستطيع أن يستكشف مفاتيح النص فيبرز ما فيه من جمال، والمفسرون في ذوقهم تفاتوا فمنهم من كان ذواقا ذاتيا للفظ القرآني يستشف الجمال ولا يعلله، بينما نحى بعضهم في تذوقه منحًى موضوعياً من

حيث اللفظ ومعناه وسر جماله كل ذلك علي حسب قواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغه وغيرها.

٦- كثير من العلماء كالإمام الجرجاني اعتمد على الذوق والفطرة النقية لاستكشاف آفاق جديدة من معاني اعجاز القرآن.

٧- من المميزات التي امتازت بها اللفظة القرآنية ؛جمال وقعها في السمع، اتساقها الكامل مع المعنى، اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات.

٨- جمال وقع المفردة وانسجامها في السمع من أهم وجوه الاعجاز القرآني والتي تذوقها المفسرون عند تفاسيرهم لكتاب الله على تفاوت تذوقهم لها.

٩- اللفظة القرآنية تتميز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد، فمهما استبدلت بها غيرها، لم يسد مسدها، ولم يغن غناءها، ولم يؤد الصورة التي تؤديها، وما تعطيه من ايحاءات رائعة جميلة، فهي تشع بأكثر من دلالة، وتوحى بأكثر من معنى، وكل ذلك مقبول مرضي في الوجدان والعقل.

١٠- القرآن الكريم يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم وهذا مدعاه كله إلى الجمال بكل أنواعه والذي يعطي له إعجازا وسحرا؛ وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1].

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم (جل من أنزله).
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ.
- الإعجاز الفني في القرآن، د/ عمر السلامي، مؤسسة عبد الكريم، تونس ١٩٨٠م.
- إعجاز القرآن البياني، د/ حفني شرف، مطابع الأهرام.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي – بيروت ط: الثامنة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م.
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار/مايو ٢٠٠٢م.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداية، إشراف: أ.د/ كمال أحمد غنيم، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، تحقيق: الدكتور/ عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.
- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٩٩٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: د/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –

بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن الكريم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: الشيخ/ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٠هـ.
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى.
- تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٣هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض

مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير الكاتب، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- الجمال في القرآن الكريم مفهومه، ومجالاته، الدكتور/ عبد الجواد محمد المحص، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- جماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف، دار المكتبى – دمشق، ط: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- خصائص القرآن، د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، المؤسسة العربية الحديثة.
- دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية، د/ عبد القادر رزق الطويل، دار البيان.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار

المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصحاح لنصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ.
- العزف علي أنوار الذكر – معالم الطريق إلي فقه المعني القرآني في سياق السورة، د/ محمود توفيق محمد سعد، بدون طبعة.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- فصول في النقد الأدبي عند العرب، د/ محمد عبد السلام هارون، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي– بيروت، الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، د/ محمد محمد داود، دار المنار.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بالمنصورة، العدد الثاني عشر، ١٤٣٣هـ، ٢٠٠٢م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

- المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله– ﷺ – لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل للإمام البغوي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
- المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني، فتحي عامر، منشأة المعارف – الإسكندرية، ١٩٧٦م.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- المعجم الفلسفي، د/ جميل صليب، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

- معجم المفسرين « من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر » لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة لـ (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة .
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٣٩هـ – ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.
- من أسرار البلاغة في القرآن، د/ محمود السيد شيخون، المؤسسة العربية الحديثة.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول

إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم» جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط: الأولى المحققة، ١٩٩٧م.
- النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، تحقيق: الشيخ/ أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، ط العاشرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، النيسابوري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١٧٦
المبحث الأول ١٨٣
التعريف بمفردات البحث ١٨٣
المطلب الأول : ملكة ١٨٣
المطلب الثاني : الذوق ١٨٤
المطلب الثالث : الجمال القرآني ١٨٧
المطلب الرابع : اللفظة القرآنية ١٩٠
المبحث الثاني ١٩٣
أهمية الذوق ومدى حاجة المفسر إليه ١٩٣
المطلب الأول : أهمية الذوق ١٩٣
المطلب الثاني : حاجة المفسر إليه ١٩٥
المبحث الثالث ٢٠٧
أثر الذوق في ابراز جمال اللفظة القرآنية. ٢٠٧
المطلب الأول : تذوق المفسرين للفظة القرآنية من حيث جمال وقعها في السمع ... ٢٠٨
المطلب الثاني : تذوق المفسرين للفظة القرآنية من حيث اتساقها الكامل مع المعنى . ٢١٣
المطلب الثالث : تذوق المفسرين للفظة القرآنية من حيث دلالتها على أكثر من معنى ٢١٩
الخاتمة ٢٢٦
فهرس المراجع ٢٢٨
فهرس الموضوعات ٢٣٧